الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين

بقلم

أ/د حسن الوراكلي

يعد الوقف من الصدقة التي يتصل أجرها في حياة صاحبها وبعد وفاته مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه أبو هريرة(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)(1)

ويعد الوقف بوصفه أفضل أعمال الخير والبر التي تتحقق بها مقاصد الشريعة بمختلف أبعادها المادية والمعنوية قربة عظيمة إلى الله تعالى، بل هو معدود في أعظم القربات التي يجزل بها الثواب والأجر.

وقد وعى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم التعاليم النبوية التي حثت على فعل الوقف الباني فاستجابوا للرسول المعلم القدوة ـ عليه أزكى السلام ـ يسارعون في الخيرات، ويبذلون بسخاء.

وبهداهم اهتدت الأمة فأقبل أبناؤها ذوو السعة يحبسون مما آتاهم الله في مجالات عدة من دينية، وعلمية، واجتماعية.

ومن المؤكد أن مقاصد المحبسين تختلف من محبس لآخر نظرا لتعدد مجالات الحبس، ومنها المجالات الثلاثة المذكورة. ومع ذلك فإن الوعي بهيمنة الدين على حياة المجتمع المسلم كان عاملا بعيد الأثر في اتصال العناية بالحبس على مرافق المجتمع كلها من مساجد ومدارس ومستشفيات، وهلم جرا.

غير أن المتتبع لحركة الأحباس التاريخية يلحظ أن مجال العلم والتعليم كان في مقدمة ما أولاه المسلمون اهتمامهم على تعاقب العصور.

وقد كان لأهل المغرب والأندلس كشأن كافة أبناء الأمة الإسلامية عناية ملحوظة بالحبس فيما دأبوا على التصدق به من مال وعقار تجري منافعهما فيما يسبلونه على مجالات متعددة، ومنها المجال العلمي، بل إنهم لفائق عنايتهم بالوقف على هذا المجال لم يقصروا جهودهم في النهوض به على بلدانهم؛ بل حرصوا على أن يشملوا بها غيرها من مجالات العلم في حواضر العلم مكة المكرمة،

والمدينة النبوية، والقدس، والقاهرة.

وتجتهد هذه المداخلة في الكشف عن شواهد من تلك العناية في مجالات ثلاثة للأحباس العلمية،هي حبس المدارس،وحبس المكتبات،وحبس الكتاب، تشفعها بفقرة عرضنا فيه صورا من التحبيس على المشتغلين بالعلم من شيوخه وطلابه،وختمناها بكلمة في غايات الحبس العلمي.

# # #

ويحسن بي ـ وقد عنونت هذا البحث حول الأوقاف العلمية عند أهل الغرب الإسلامي بما اصطلحوا عليه في تسمية صدقاتهم الجارية ـ أن أشير إلى أمرين اثنين وثيقي الصلة بالعنوان أعلاه:

أولهما مصطلح (الحبس) الذي أخذ به المغاربة والأندلسيون في تسمية (الصدقة الجارية)فهو ـ لغة ـ كل ما وقف من صدقة،والجمع أحباس وحبائس . وأصله من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين سأله عن نخل له كان يريد أن يتقرب بصدقتها إلى الله تعالى (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بثمرتها)(2) وقوله صلى الله عليه وسلم (من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزان عمله يوم القيامة)(4) وعرفه فقهاؤهم،فقال ابن عبد البر بأن الحبس أن (يتصدق الإنسان المالك لأمره بما شاء من ربعه ونخله وكرمه وسائر عقاره لتجري غلات ذلك وخراجه ومنافعه في السبيل الذي سبلها فيه مما يقرب إلى الله عز وجل،ويكون الأصل موقوفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث أبدا)(5) وعرفه ابن عرفة بأنه (إعطاء منفعة شييء ما مدة وجوده،لازما بقاؤه في ملك معطيه ولو تقديرا)(6).

والتعريفان معا لايخرجان عن المعنى المحوري للوقف،وهو تحبيس العين وتسبيل ثمرتها .

ويتضح مما سبق أن مصطلحي (الحبس) و (الوقف) في اللغة مترادفان، وكذلك أمرهما في العرف الشرعي(7).

ثانيهما أن اعتناء المغاربة والأندلسيين بالأحباس،سواء داخل مجتمعاتهم أو خارجها ، شمل نوعين إثنين :

أولهما ما يحبس على المؤسسات العامة ذات الطابع الديني،أو العلمي،أو الاجتماعي،وهذا النوع هو المعروف عندهم بالأحباس العمومية .

والنوع الثاني هو ما اصطلحوا على تسميته بالحبس المعقب،وهو المعبر عنه عند أهل المشرق بالوقف الأهلي أو الذري،ويصرف ريعه على أبناء المحبس علوا أو نزلوا.

# # #

إن العناية بالعلم والتشجيع على طلبه وتحصيله ونشره والنفع به من أعظم القربات إلى الله تعالى،ومن أفضل الأعمال التي يجزل بها ثواب العبد عند ربه تعالى.لذا وجدنا التحبيس على ومدارسه وكتبه وطلابه العلم ومدارسه في صدارة ما أولاه المسلمون اهتماهم على تعاقب العصور.

وقد كان للمغاربة والأندلسيين اعتناء موصول بهذا المجال المهم من الأحباس(8) فلم يقصروه على معاهدهم؛بل حرصوا على أن يتخطوا به حدودها إلى غيرها من معاهد العلم في أقطار أخرى(9) وخاصة في بلاد الحرمين الشريفين على ما سنعرض له في الفقرات التالية من مجالات الحبس العلمي:

تحبيس المدارس

تضاربت الروايات في تحديد التاريخ الذي أسست فيه المدارس بالعدوتين المغرب والأندلس،فعلى حين يذهب ابن مرزوق الخطيب في كتابه "المسند الصحيح الحس)إلى أن (إنشاء المدارس كان في المغرب غير معروف حتى أنشأ مولانا المجاهد الملك العابد مدرسة الحلفائيين بمدينة فاس وبعدوة القرويين منها،ثم أنشأ مولانا السلطان أبو سعيد والد إمامنا رضي الله عنه مدرسة العطارين)(10) وجدنا الأستاذ محمد المنوني يذهب إلى أن المغرب عرف المدارس قبل ذلك،وبالذات على عهد الموحدين(وذلك بما أسسه هؤلاء من مدارس بمدائن سبتة وطنجة وفاس ومراكش أنتجت مدرسين بارعين سابقوا علماء قرطبة وإشبيلية وغرناطة)(11).

والثابت تاريخيا أن القرن السابع والثامن شهدا على عهد المرينيين حركة كبيرة في تأسيس المدارس وتحبيسها على طلبة العلم بما رصد لها من موارد وأجرى عليهم من رتبات)(12) ومن هذه المدارس مدرسة فاس الجديد ومدرسة الصهريج،ومدارس أخرى (في كل بلد من بلاد المغرب الأقصى وبلاد المغرب الأوسط)(13) وكان من (أجل هذه المدارس وأعظمها)(14) المدرسة الجديدة التي بناها أبو الحسن المريني واحتفل في بنائها فجاءت عظيمة البناء متسعة الزوايا ذات صنائع عجيبة وأعمدة رخام وألواح متعددة غالية رائعة الصنع(15).

أما في الأندلس فقد كان في أوائل ما ذكر من مدارس التعليم مدرسة مرسية التي كان من أساتذتها العالم الرقوطي المرسي الذي عاش في القرن السابع(16).

كما يفيد ابن الخطيب بأن بعض فقهاء مالقة من ذوي الثراء اهتم ببناء المدارس والوقف عليها،ومنهم محمد بن محمد الأنصاري المالقي (ت 754هـ)الذي بنى مدرسة غربي المسجد الأعظم ووقف عليها الرباع(18).

ونفرد بالتعريف من المدارس المحبسة في المغرب والأندلس مدرستين :

أولاهما المدرسة الشارية أو مدرسة أبي الحسن الشاري السبتي

كان لطائفة من أهل العلم واليسار والفضل من أهل سبتة مساهمة في الأحباس العلمية التي أرادوا بها خدمة العلم والمشتغلين به،واشتهر منهم من علمائها أبو الحسن الغافقي الشاري الذي بنى عام 635 من حر ماله مدرسة وقف عليها(من خيار أملاكه وجيد رباعه سالكا في ذلك طريقة أهل المشرق)(19).

وكان من أبرز من تصدر فيها للإقراء طائفة من كبار علماء سبتة مثل قاسم بن الشاط الذي حلق لتدريس الأصول والفرائض((20)وقعد بها بانيها ومحبسهبها لتروية الحديث وإسماعه(21)ومن الكتب التي أقرأها الجامع الصحيح للبخاري والإلماع في تصحيح الرواية والسماع لعياض

وكثر الأخذ عنه بها.وقد صور لنا أحد تلاميذه النابهين مجلس إقراء الشيخ الشاري،فقال:(كان يجلس لنا نهاره كله إلا القليل...وكان شديد التيقظ مع شاخته وهرمه لا يغفل تنبيه قارئ إن وهم أو لحن أو صرف مع كثرة

الحاضرين من السامعين،ولا يسبقه أحد منهم إلى شيء من ذلك)(21) ومع أن وصف ابن الزبير لمجلس شيخه الشاري كان بمالقة،ومع ذلك فما أحسبه يختلف عن مجلسه بمدرسته بسبتة.

وقد نالت هذه المدرسة لدى العلماء والأدباء سمعة عبر عنها أبو الحسن الأغماتي بهذه الأبيات:

هنيئا لك السبق المبر إلى التي ذوي المجد أعيا ذكرها وذوي الندا

عنيت ببيت... همة ماجـــد تقي يرى ما ليس يجدي غدا سدا

ولم تأل في تنجيده جهد موفق يؤمل في الفردوس قصرا منجـــدا(23)

وثانيتهاهما المدرسة النصرية بغرناطة:

عرفت بأكثر من إسم،فهي المدرسة اليوسفية،وبمدرسة غرناطة أو المدرسة العلمية.أنشئت على يد الحاجب رضوان عام 750 هـ .وحبس عليها مؤسسها الحاجب رضوان بأمر السلطان الأحباس الجليلة حتى غدت(نسيجة وحدها بهجة ورصدا وظرفا وفخامة)(24)وقد دعي للتدريس فيها صفوة علماء الأندلس ومشاهير علماء المغرب.ومنهم ابن الفخار الخولاني ت 754هـ الذي (قل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة)(25) ويحيى بن أحمد بن هذيل التجيبي (ت 753هـ الذي كان يقرئ الأصول والفرائض والطب(26) ومنصور الزاوي الذي كان يقرئ الحساب (27) ومثل هذا المستوى العلمي المتميز الذي أضفاه هؤلاء الشيوخ على حركة التدريس بالمدرسة جعل منها (أنوه مواضع التدريس بغرناطة)(28) وهو ما أعرب عنه ابن الخطيب في هذه الأبيات:

ألا هكذا تبنى المدارس للعلـم وتبقى عهود المجد ثابتة الرسـم

ويقصد رجه الله بالعمل الرضا وتجنى ثمار العز من شجر العزم

وتصور الأبيات رفعة المستوى العلمي للمدرسة:

فياطاعنا للعلم يطلب رحلـــــة كفيت اعتراض البيد أو لجج اليم

ببابي حطوا الرحل لا تنو وجهة فقد فزت في حال الإقامة بالغنـم

فكم من شهابي في سمائي ثاقب ومن هالة دارت على قمـــر تـم

يفيضون من نور إلى هـــــدى ومن حكمة تجلو القلوب إلى حكم

جزى الله عني يوسف خير ما جزى

ملوك بني نصر عن الدين والعلـــــــم(29)

— ب —

حبس المكتبات

تنهض المكتبة بأداء رسالة علمية بالغة الأهمية تتمثل في توفير المادة المصدرية لمختلف المعارف والفنون مما يحتاج إليه المشتغلون بالعلم من شيوخه وطلابه.

وقد وعى هذه الحاجة أهل العلم فسارعت منهم طائفة إلى تحبيس مكتباتهم بكافة محتوياتها،وسارعت أخرى إلى تحبيس مما ألفت من كتب أو مما اقتنت.

ونبدأ بعرض نماذج من المكتبات المحبسة التي قاد البحث إلى جمع مادتها التاريخية والعلمية من المصادر المغربية والأندلسية:

1 ـ مكتبة الشاري بسبتة

إلى جانب ما عرفت سبتة من مكتبات خاصة بدور الأكابر وذوي الأقدار بلغت خمسا وأربعين مكتبة(30)حوى بعضها من الدواوين والأسفار (ما لا نظير له كثرة وجودة)(31) وهي مكتبة علي بن هلال الحضري،وقدر محتوى بعضها،وهي مكتبة عبد المهيمن الحضرمي،بما يزيد عن ثلاثة آلاف سفر كلها مقابلة مضبوطة(32).

إلى جانب الخزائن العلمية المذكورة عرفت سبتة من المكتبات المحبسة على طلبة العلم عددا وافرا كان منها ما شملته بعض المساجد مثل مسجد القفال،ومسجد مقبرة زكلو،وجامع الربض الأسفل.ولعل أهمها وأحفلها كانت مكتبة الجامع العتيق التي أشاد الأنصاري بغناء محتوياتها،فقال بأن كتبها (كانت من الكثرة بحيث لم يشذ منها من الفنون ولا نوع من المعارف أصلا مع تعدد مصنفات ذلك الفن وكثرة دواوينه)(33).

غير أن أشهر وأقدم مكتبة حبست بسبتة على أهل العلم كانت هي المكتبة الشارية نسبة إلى صاحبها أبي الحسن الشاري الذي عرف بخدمة العلم يرحل في طلب دفاتره وجمع دواوينه فاقتنى منها شيئا عظيما،ونافس فيها وغالى في أثمانها فحصل له بهذا المجهود ما أعجز أهل بلده)(34) وكانت حصيلة هذه العناية الفائقة بالكتاب جمعه أصولا عتيقة ومؤلفات عظيمة(35) أغنى بها الشيخ أبو الحسن الشاري رصيد مكتبته المحبسة على طلبة العلم.ومن المؤكد أن مثل هذه المكتبة الشهيرة بسمعتها العلمية التي ظلت تعرف بها قرونا متوالية والمتمثلة في محتوياتها من الأصول العتيقة والمؤلفات الغريبة.

ومن المفيد أن نشير هنا إلى أن هذه المكتبة كان يتولى الإشراف عليها خازن من شيوخ العلم هو أبو عبد الله الغافقي(36) ومعروف أن من مهام الخازن فهرسة محتوى المكتبة كما عرفنا في بعض الخزائن العلمية مما حبسه المغاربة،وهو ما يسعف في استجلاء مناح عدة من حركة العلم وتياراته السائدة على عصر المكتبة المفهرسة،ولو كان وصلنا فهرس المكتبة الشارية لأفدنا منه ما يلقي الضوء على جوانب من الحياة العلمية في سبتة على عصر الشاري.على أننا في غياب هذا الفهرس نستطيع بالنظر إلى ما كان ينتحله الشاري من معارف وعلوم وفي مقدمتها علوم الحديث من راوية ومعرفة بالأسانيد والطرق والرجال(37) مع مشاركة في القراءات ومعرفة بطرق التاريخ،هذا إلى ما كان عليه من تجويد التقييد،وحسن التعريف بالأشياخ والمصنفين مما تمثل بعضه في فوائد قيدها على ظهور الكتب مما تختص بمؤلفيها وغير ذلك (39) فإذا أضفنا إلى ما ذكرنا من معارفه ولعه بما درسه على شيوخه من كتب القراءات والتجويد والحديث والفقه والأدب وعلم الكلام وأصول الفقه وكتب العربية(40) ساغ لنا القول بأن الصحاح من كتب السنة والمسانيد والأمهات من المعارف الشرعية والأصول من علم الآلة إلى كتب التاريخ والأدب كان هو ما شكل محتويات هذه المكتبة.

وقد عرف شيوخ العلم فضل الشاري فنوهوا بما قدم من خدمة جليلة للعلم والمشتغلين به من شيوخ وطلاب عبر مشروعه الحبسي المكتبي،فهذا ابن رشيد يقول في ذلك(ولد بسبتة ونشأ بها وأحيا بها العلم حيا وميتا) وفيه إشارة إلى اتصال نفع مدرسته ومكتبته المحبسين بعد وفاته،وهو ما يستفاد من إشارة الأنصاري المتوفى في القرن التاسع الهجري في كتابه "اختصار الأخبار"(41).

2 ـ مكتبة مصطفى خوجة

أسست هذه المكتبة سنة 1182 هـ ،وكان عدد من مخطوطاتها من نسخ يده وآخر مما استأجر النساخ عليها.وكان مقرها في مبنى المدرسة بداخل محروسة طرابلس المرعية المحروسة المحمية.

وقد كان فيمن زار هذه المكتبة من العلماء المغاربة ووقف على مخطوطاتها محمد بن عبد السلام الناصري ت 1239 هـ فقال بعد تحليته لصاحب المكتبة بكونه محط رحال أهل الدين والخير في زمانه :(كان من سيرته الحميدة ومآثره المجيدة أنه ابتنى جامعا ومدرسة وأوقف عليها كتبا جمة،وجعل بها مرتبا لمن يناولها من الطلبة،وما سمع بكتاب يراد للبيع إلا اشتراه،ويبعث حتى لمصر والحجاز وإفريقية وما والاه،ولا بتأليف من تآليف علماء الزمان إلا واستنسخه ولو بأغلى الأثمان)(42)ثم أورد عناوين ما رأى بالمكتبة.

وكان لعلماء المغرب والأندلس المجاورين بالحرمين إسهام في تحبيس المكتبات العلمية على طلاب العلم،ومن هذه نذكر:

2 ـ مكتبة الميورقي(ت 687هـ)

وهو أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي الذي أقام في الطائف،وسكن مكة،وحبس مكتبته على طلبة العلم،وكانت هذه المكتبة غنية وحافلة بكتب نفيسة في مختلف الفنون والمعارف لاسيما السير والتراجم والتواريخ،وهو مايستفاد من وصف تقي الدين الفاسي لها بأنها (كثيرة مشتملة على فوائد جمة)(43) أفاد منها مؤرخو مكة،ومنهم تقي الدين الفاسي في العقد الثمين وغيره من كتبه عن تاريخ مكة المكرمة،وكذلك أفاد منها أبو الفضل محب الدين ابن فهد في بعض ما ألف من كتب في التاريخ المكي(44).

3 ـ مكتبة تقي الدين الفاسي(ت 832هـ)

وهو أبو الطيب تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي،حبس مكتبته العامرة بالنفائس والأعلاق على العلماء والمتعلمين وعلى عامة الراغبين في الاطلاع والقراءة والمطالعة،وكان السخاوي فيمن وقفوا عليها(45) ويكفي لكي نعرف غناء رصيد هذه المكتبة أن ننظر في موارد الفاسي ومصادره التي أفاد منها في مؤلفاته التاريخية وغير التاريخية.

4 ـ مكتبة رباط المغاربة بمكة المكرمة

وقف عليها السخاوي عام 878هـ في رباط المغاربة ووصفها بكونها(مكتبة علمية فيها عدد من الكتب)(46) وأخبر بأن أحد المجاورين المغاربة المشتغلين بالعلم من المقيمين بهذا الرباط،واسمه صالح بن عبد الله السجلماسي،وضع للمكتبة المحبسة بالرباط فهرسة بجميع محتوياتها(47) كان يفيد منها نزلاء الرباط المذكور من العلماء والطلاب المقيمين

للمجاورة أو الوافدين للحج والعمرة.وقد عرفنا منهم قاسم بن الحسين التلمساني (48)،وأبا الفضل قاسم بن أبي حديد القسنطيني(49)وأحمد الزواوي (50)وعيسى الزواوي (51) وأبا الحسن علي القلصادي (ت891هـ) (52).

وقد ظلت هذه المكتبة موجودة بالرباط المذكور يفيد من كتبها طلاب العلم بالاطلاع والقراءة والنسخ حتى القرن الحادي عشر،فقد أخبرنا أبو سالم العياشي (ت 1090هـ) في رحلته المسماة (ماء الموائد) بأنه وقف عليها في البيت الذي خصص لها بالرباط (53) ثم انقطعت عنا أخبارها بعد ذلك .

5 ـ مكتبة أبي مهدي الثعالبي(ت 1080هـ)

وهو أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي (ت1080 هـ) وكان اشتهر بين المجاورين المغاربة في مكة المكرمة بالعلم وجمع الكتب حتى توفر على مكتبة حافلة كان بعض ما اشتملت عليه من كتب بخط يده وبعضها الآخر بالشراء،وكان جعل مقرها في مأواه بالحرم المكي الشريف.ونحن وإن كنا لا نملك خبرا بتحبيسها فإنا لا نشك في أن شيوخ العلم وطلابه كانوا يفيدون من محتوياتها العلمية النفيسة ، وكانت ـ على ما أخبر أبو سالم العياشي(ت 1090هـ) في رحلته (نحو الثمانين سفرا،فيها من نفائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها،كان منها أجزاء من "المدونة الكبرى" التي هي أم الدواوين الفقهية،ومنها "عيون الأدلة" لابن القصار،وكان أبو مهدي صاحب المكتبة يثني عليه كثيرا في بسط أدلة المذهب ـ يعني مذهب الإمام مالك ـ والانتصار له والرد على المخالفين مع التحقيق التام إلى غير ذلك من الكتب(54).

6 ـ مكتبة الوزير بالمدينة المنورة

وهو الشيخ محمد العزيز الوزير (ت 1338هـ) ،رحل إلى الحجاز سنة 1317هـ وجاور بالمدينة المنورة،ونال حظوة بها وجاها،وكان معنيا بالعلم يقيده ويقرئه،عده محمد مخلوف محمد بن محمد (من أعلام الفقهاء)(55)وقد وصفه أحد مشايخه ـ وهو محمد الطيب النيفر ـ في إجازته له بالفقيه الصالح النجيب البارع الدراكة.ونوه بعلمه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي وأثنى على تضلعه وسعة أفقه في علوم الحديث وفقه السنة كما نوه بتحقيقه في بقية العلوم الإنسانية.وكان جماعا لدفاتره ومصنفاته،محبا للعلم،شغوفا بالكتب يحرص على اقتناء النوادر ويبذل الأموال الطائلة في شرائها.

ولما رحل إلى الحجاز بنية المجاورة بالمدينة النبوية على ساكنها أزكى السلام نقل معه خزانة كتبه الحافلة بالنفائس والأعلاق.ثم أغناها بما كان يشترى له من الكتب بتونس وبما كان يقتنيه من المدينة المنورة بأثمان غالية.وكان مقر مكتبته ببيته وقفها على من عينه من هائلته بالمدينة المنورة حتى لا تتسرب إلى خارجها.وبعد وفاته سعى الشيخ احمد الخياري في نقلها إلى مكتبة الحرم النبوي عام 1380هـ وكانت إلى جانب مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت ومكتبة السلطان محمود أغنى المكتبات بما تحويه من عشرات الآلاف من المخطوطات.وهو ما شهد به أحد روادها على مدى أزيد من خمسة أعوام وهو الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حين اعتبرها ثالثة مكتبات غنية بعشرات الالاف من المخطوطات بلغت منها غايتي حفظا واطلاعا(56).

وتقدر محتويات هذه المكتبة بأكثر من خمسة آلاف مخطوط، وبنحو ثمانية آلاف مطبوع نادر وحديث. وقد أفاد الدكتور عبد الرحمن المزيني في بحثه حول فهرس المكتبة أن واقعها الحالي يؤكد توزع كتبها بين ثلاثة أماكن: أولها مكتبة المسجد النبوي الشريف وتضم منها 574 مخطوطا و186 مجموعا تحوي عدة رسائل خطية إضافة إلى كمية كبيرة من المطبوعات. والثاني مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة وتضم 45 مخطوطا إضافة إلى بعض الكراسات والملازم المتفرقة من مخطوطات أخرى. وأما الثالث فهو ما تفرق بين المكتبات الخاصة بالمدينة.

وقد ختمت مخطوطات هذه المكتبة ومطبوعاتها بختم دائري كتب في وسطه عبارة (وقف محمد العزيز الوزير، وكتب عليها أيضا العبارة التالية "الحمد لله هذا الكتاب مقره المدينة المنورة، وهو وقف حرام مؤبد من محمد العزيز الوزير حسب ذلك بالحجة الشرعية المؤرخة 30رجب 1320هـ من محمد العزيز الوزير).

أما فهرس المكتبة ف(يحوي بيانات لمجموعة المكتبة، وهو يقع في 780 صفحة مضافا إليه فهرس خاص بالمجاميع يقع في 78 صفحة. والفهرس مكتوب بالخط التونسي، ويبدأ بعلوم القرآن مرورا بعلوم الحديث والسير والمغازي والمناقب والكلام والأصول والفقه بمختلف مذاهبه والفرائض ومناسك الحج والسياسة الشرعية وعلوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض وعلم الأدب وعلم التاريخ والرحلات وعلم الهندسة والهيئة وعلم الطب وقسم الفلك وانتهاء وعلم الحكمة والمنطق و وينتهي بالمحاضرات والفنون وأسماء الكتب. وقسم المفهرس محتوبات المكتبة بحسب الفنون إلى 59 فنا.

وقد استخلص الدكتور المزيني من المحتويات اهتمام صاحب المكتبة ببعض الفنون أكثر من غيرها بالنظر إلى رصيد المكتبة في كل فن مقارنة بالفنون الأخرى، فعلى الرغم من تجاوز عدد كتب علمي التصوف والكلام ألف كتاب إلا أن كتب العلوم الشرعية من علوم قرآن وتفسير وحديث وفقه وأصوله قد تجاوزت ألفي كتاب في حين بدأ الاهتمام واضحا بكتب اللغة والنحو والصرف وهي من العلوم المساعدة الموضحة للعلوم الشرعية والملازمة لها دائما فقد تجاوزت كتبها ست مئة كتاب من الرصيد الإجمالي للمكتبة. وكذلك كتب الأدب العربي والتاريخ والرحلات فقد كان الاهتمام بها واضحا. ليس هذا فحسب بل إن العلوم البحثية التطبيقية من رياضيات وهندسة وطب وفلك قد أخذت مكانها المناسب من المكتبة مما ينبئ عن فكر متنور بأهمية المكتبة وضرورة تنوع مجموعتها واشتمال رصيدها على فروع المعرفة الإنسانية كافة(57).

ويمكن القول بأن (مجموعة المخطوطات والمطبوعات التي شكلت رصيد هذه المكتبة مجموعة قيمة تشتمل على عدد كبير من النوادر تقدم صورة عن الوضع العلمي في المدينة المنورة في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، كما يكشف لنا الفهرس عن تنوع اهتمام صاحب المكتبة، فهو يملك كتبا في علوم الدين واللغة العربية وآدابها والتاريخ والجغرافيا والرحلات والطب والفلك وغيرها من الفنون. وهذا يعني أن واقع الحياة الفكرية في المدينة المنورة في فترته وما قبلها كان واقعا منفتحا على جوانب متنوعة من العلوم غير محدد بنمط واحدة منها(58).

– ج –

حبس الكتاب

عني المسلمون بخدمة الكتاب رواية وكتابة وإقراء وتأليفا،ينشدون بخدمتهم هذه باعتبارها عملا صالحا ثواب الله عز وجل بما يحقق من مقاصد الشرع في إذاعة العلم ونشره.

ولا ريب في أن الثواب على العمل الصالح يعظم بعظم غايته ومقصده،ولا ريب في أن خدمة كتاب الله تعالى بمتعدد وجوهها من أعظم الأعمال،ومن ثم كانت من أفضل القربات وأجل الطاعات.

وقد وعى تاريخ المسلمين صفحات ناصعة بألوان من خدمة القرآن الكريم بما حبسوا من أموال على نشر المصاحف،وتحفيظ القرآن،والإنفاق على القراء.

وقد اشترك في هذه الخدمة الجليل من أهل المغرب والأندلس خاصتهم وعامتهم ،وذلك ما تمثل في تحبيسهم على كتاتيب التحفيظ والتأديب على نحو ما صنع الخليفة الأموي الحكم المستنصر (ت 366هـ) حين حبس سبعة وعشرين كتابا بقرطبة حوالي المسجد الجامع وبكل ربض من أرباضها يعلم فيها المؤدبون أولاد الضعفاء والمساكين القرآن.وقد أثنى الشاعر ابن شخيص على هذا الصنيع من الخليفة في خدمة كتاب الله تعالى إذ قال:

وساحة المسجد الأعلى مكللة مكاتبا ليتامى من نواحيها

لو مكنت سور القرآن من كلم نادتك يا خير تاليها وراعيها

ونوه ابن عذاري بهذه المكرمة للخليفة الحكم معتبرا إياها (من مستحسنات أفعاله وطيبات أعماله)(59).

ومن ذلك ما عني به سلاطين المغرب من تحبيس المصاحف.ولدينا أخبار وافرة عن اهتمام سلاطين المغرب بنشر المصحف الشريف،ومنها أن السلطان أبا يعقوب يوسف المريني (ت 607هـ) حبس على الحرم المكي مصحفا وصف لضخامته بكونه حمل بعير ، وقد حمله عام 703 هـ ركب الحاج المغربي إلى مكة في ربعة كبيرة .وقد وصف لنا ابن خلدون هذا المصحف بقوله :

(مصحف رائق الصنعة ، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن ، واستوسع في جرمه ، وعمل غشاءه من بديع الصنعة ، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدر والياقوت ، وجعل منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا ، واستكثر من الأصونة عليه)(60)

وذكر ابن مرزوق أنه وقف على المصحف المذكور في قبة الشراب بالحرم المكي ، وقال :

(وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط ابن حسن ، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة ، فانتزع ما عليه ، وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا ، وقد قرأت فيه في أعوام)(61).

كما أن السلطان أبا الحسن المريني (ت 652هـ) بعث إلى الحرم المكي مصحفا كتبه بيده وتولى تنميقه وتذهيبه مشاهير الوراقين كما تولى ضبطه وتهذيبه أكابر القراء ، بينما تفنن مهرة الصناع تغشية وعائه بصفائح الذهب وترصيعه بالجواهر واليواقيت (واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان)(62) .

ولم يكتف السلطان أبو الحسن ببعث هذا المصحف ؛ بل شفع ذلك بمبلغ مالي قدر بستة عشر ألف وخمسمائة دينار ذهبا لشراء الضياع بالمشرق لتحبيسها على القراء في المصحف(63).

وذكر ابن الوردي في تاريخه أثناء حوادث عام 748هـ (أن أبا الحسن كتب من مدة قريبة بحطه ثلاثة مصاحف ، ووقفها على الحرمين الشريفين وعلى حرم القدس)(4)ثم أضاف بأن أبا الحسن جهز مع المصاحف الثلاثة عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكا في الشام ووقفت على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة(65)

وعلى غرار هذا الصنيع وجدنا السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل يبعث إلى السجد النبوي ثلاثة وعشرين مصحفا بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب مرصعة بالدر والياقوت ، ومن جملتها المصحف الذي يقال بأن عقبة بن نافع نسخه من المصحف العثماني(66).

ومن المعروف حرص العلماء والمؤلفين على تحبيس كتبهم ومؤلفاتهم على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة،وكذلك على الأربطة والمدارس بهما.وفي هذا الصدد يقول الغنامي في رحلته الحاجية (ما من عالم صنف كتابا في المشرق أو بالسند أو الهند أو العراق أو غيره من الأمصار إلا ويصرف نسخة للمدينة المنورة تبركا ورجاء الإقبال على كتابه)(67).

وأقدم ما عرفنا مما حبسه المغاربة من كتب على الحرمين جملة من كتب الفقه المالكي حبسها محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي إمام المالكية بالحرم المكي الشريف عام 588هـ على طلبة الفقه والمذهب المالكيين في الحرم الشريف ووضعت في الركن المالكي منه ، وكان من هذه الكتب المحبسة كتاب (المقرب) لابن أبي زمنين في ستة مجلدات (68) .

وفي القرن الثامن وجدنا الشيخ عبد الواحد الجزولي ، وكان ذا معرفة بالحديث والقراءات، أكب على نسخ العلم ، وكتب بخطه كتبا كثيرة حبسها كلها على طلبة العلم برباط دكالة وغيرهم بالمدينة المنورة (69).

وفي القرن الثامن كذلك وجدنا الشيخ الفقيه الأديب أبا عبد الله محمد بن محمد الغرناطي (ت 754هـ) ، وكان جود القراءات السبعة ، وأحكم الفرائض والحساب حتى لم يكن في المجاورين وغيرهم بالمدينة المنورة مثله في ذلك ، يحبس كتبه على طلبة العلم ويجعل مقرها في المدرسة الشهابية(70).

كما وجدنا في هذا القرن الشيخ إبراهيم التلمساني (ت 766هـ) ، وكانت (له كتب جليلة في الفقه والأصول والحديث واللغة وغير ذلك)(71) يحبس أكثرها بمكة المكرمة،ويحبس بعضها على المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة (72).

وقد اتصل ، بعد ذلك ، اعتناء المغاربة بتحبيس الكتب على الحرمين الشريفين والخزائن العلمية بمكة والمدينة حتى إذا كان العصر الحديث وجدنا طائفة من العلماء تسارع في الخيرات بهذا المجال الهام من مجالات الأحباس،فتحبس كتبا مفردة على مكتبة الحرمين ، ونمثل لهؤلاء بالسلطان سيدي محمد بن عبد الله (ت 1204هـ) ـ وكان له اهتمام بالغ بالعلم وكتبه وحملته ، وحرص على المشاركة في بثه والتأليف في فنونه ـ يحبس على الحرمين الشريفين كتبا علمية وافرة ظلت إلى عهد المؤرخ احمد الناصري(ت 1315هـ) قائمة العين والأثر(73).

وفي المدة الأخيرة وجدنا الفقيه العالم السيد محمد الصباغ التطواني (ت 1338هـ) يحبس كتبا على المسجد الحرام بمكة المكرمة ، ولم يتيسر له إرسالها حتى قيض الله تعالى لذلك حفيده الأستاذ مصطفى الصباغ الذي حملها معه في حجته عام 1384هـ وسلمها لمكتبة الحرم المكي الشريف (74) والشيخ العلامة البحاثة الشيخ محمد المنوني (ت 1421هـ) يحبس عام 1419هـ على مكتبة الحرم النبوي نسخة من الجزء الأول من الترمذي قام بتسليمها الدكتور عبد اللطيف الجيلاني(75) ومن المعاصرين حبس طائفة من العلماء بعض كتبهم ومؤلفاتهم على مكتبة الحرم المكي ومكتبة الحرم النبوي ومكتبة مكة المكرمة أذكر منهم العلامة الأستاذ محمد بوخبزة،والشيخ الأستاذ محمد المنتصر الريسوني،والشيخ الأستاذ إسماعيا الخطيب،والدكتور محمد الحبيب الهيلة،والدكتور محمد الحافظ الروسي،والدكتور عبد الرحمن بودراع،والدكتور محمد المعلمي،وعبيد ربه كاتبه.

وعرفنا من تحبيس الكتب من لدن أهل الأندلس أمثلة كثيرة نذكر منها تحبيس لسان الدين بن الخطيب على المدرسة النصرية نسخة من كتابه(الإحاطة
في أخبار غرناطة)(76) وعرفنا من الكتب التي حبست على المدرسة المذكورة كتاب (شرح كتاب الإشارات) لابن الحسين بن سيناء في المنطق والحكمة،وهو السفر الأول من تأليف أبي عبد الله بن الخطيب،ومنها كتاب ابن معط في النحو بشرحها.

كما حرص بعض المحبسين من أهل الأندلس على تحبيس الكتب على المساجد والجوامع،ومن أولئك أبو عبد الله محمد بن محارب (ت 750هـ)من فقهاء مالقة،فقد ذكر ابن الخطيب عنه أنه تصدق بمال كثير وعهد بربع وفير لطلبة العلم وحبس عليهم كتبه(78) وذكر الونشريسي تحبيس كتب على جامع غرناطة أيام بني نصر(79)كما ذكر المراكشي في كتابه (المعجب) تحبيس أرض زراعية بمنطقة
مدينة شلب على الشعراء أواخر العصر المرابطي(80)وحبس محمد بن محمد ابن لب طائفة من كتبه على الجامع الكبير بمالقة(81).

ومن مشاهير المؤلفين المغاربة الذين حبسوا مؤلفاتهم على طلبة العلم ابن خلدون،وهذا نص وقفية كتابه (العبر في أخبار العرب والعجم والبربر):

(بسم الله الرحمن الرحيم.الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه.

وقف وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المحقق أوحد عصره،وفريد دهره قاضي القضاة ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن خلدون الحضرمي المالكي أمتع الله المسلمين بحياته ونغعه بعلومه وبركاته،وهو مؤلف هذا الكتاب جميع هذا الكتاب المسمى ب كتاب (العبر في أخبار العرب والعجم والبربر)المشتمل على سبع أسفار ،هذا أحدها،وقفا مرعيا،وحبسا مرضيا على طلبة العلم الشريف بمدينة فاس المحروسة قاعدة بلد المغرب الأقصى،ينتفعون بذلك قراءة ومطالعة ونسخا،وجعل مقره بخزانة الكتب التي بجامع القرويين من فاس المحروسة بحيث لا يخرج حرمها إلا لثقة أمين برهن وثيق لحفظ

صحته،وأن لا يمكث عند مستعيره أكثر من شهرين،وهي المدة التي تسع لنسخ الكتاب المستعار،أو مطالعته،ثم يعاد إلى موضعه.وجعل ذلك لمن له النظر على خزانة الكتب المذكور،وقف لله على الوجه المذكور لوجه الله الكريم،وطلب لثوابه الجسيم يوم يجزي الله المتصدقين،ولا يضيع أجر المحسنين،وأشهد عليه بذلك في اليوم المبارك الحادي والعشرين لشهر صفر المبارك عام تسعة وتسعين وسبعمائة.حسبنا الله ونعم الوكيل.

أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى قاضي القضاة ولي الدين الواقف المسمى فيه إمامه لله تعالى على نيته الكريمة بما نسب إليه فيه وتشهدت عليه به في تاريخه،وكتب أحمد بن علي المالكي.أشهدني سيدنا ومولانا العبد الفقير إلى الله تعالى الشيخ الإمام العالم العلامة قاضي القضاة بما نسب إليه،وتشهدت عليه بذلك محمد بن محمد بن أحمد بن أبي القاسم .

الحمد لله.المنسوب إلي صحيح.

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)(82).

ونردف نص وقفية (العبر) بنص وقفية مصطفى خوجة الطرابلسي لكتاب من كتب العلم على مدرسته بطرابلس:

(الحمد لله.حبس الفاضل السري والكاتب السيد مولانا مصطفى خوجة بن قاسم المصري صاحب إنشاء الدولة العلية العلوية وظهير المملكة القرمانية رغبة في الثواب واستعدادا لأهوال الحساب ،ورجا الدخول في عداد أولي الصدقات الجارية،وتزودا من الفانية للباقية على مدرسة المسجد الذي بناه ،والجامع الذي أسسه وأنشأه بجوار دار سكناه في داخل المحوطة الطرابلسية حرسها الله من الأعادي وكفاها ضير الحاضر والبادي جميع هذا السفر المجلد وأجراه مجرى الوقف المؤبد،فلا يعدل به عن قبله أو يبدل عن سبله إلى أن يرث الله الأرض ويطوي كالسجل طولها،وشرط أن لا يخرجه أحد من المكان أو يبرزه عن المبان سوى مدرستها،فله من كل فن إخراج سفرين للمراجعة في أي حين،بعد أن يرسم في الدفتر ببنانه أنها عارية وفي ضمانه.وأما غيره ممن تأهل للمطالعة أو الكتابة والمراجعة فإنما يتناوله في المحل المذكور وكتابة اسمه في المسطور.فمن سعى في تغييره أو أجراه على غير مصيره حل به الندم والشجون في الحياة وبعد المنون،وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.وقد أذن الواقف للشيخ المعظم سيدي محمد بن مكرم ،المعد لتدريسها من لدن تأسيسها،ولناظرها البر المطيع الحاج محمد بن عبد السميع في قبول ذلك منه وحوزه بالواجب عنه،فقبلاه بلا توان وحازاه فورا بالعيان .يشهد عليهم بما فيها من عرفهم بكمال معرفة لا إيهام يعتريها بأن الواقف لم يخرج عن ملكه غب علمي ما ذكر بمناف إلى أن بتل فيه الإيقاف.وفي السادس من محرم الحرام سنة أربع وثمانين وإحدى عشر من الميين مصلحا رجا عبيد ربه محمد بن محمد الشريف العربي كان الله لهم بمنه والفقير لربه سبحانه وتعالى علي بن عبد الرحمن الزاوي الحنفي كان الله لهما بمنه وكرمه آمين)(83).

ـ ط ـ

التحبيس على المشتغلين بالعلم

وإلى جانب ما عرفناه من تحبيس المدارس والمكتبات والكتاب شمل المحبسون من أهل المغرب والأندلس بعنايتهم المشتغلين بالعلم من فقهاء ومقرئين وطلاب،وهو ما نسوق له شواهد في هذه الفقرة.

ومنها دؤوب سلاطين المغرب وخاصة سلاطين الدولة العلوية على إرسال صرة كان من جملة ما تحويه أعطيات جزيلة للمشتغلين بالعلم إقراء وتحصيلا . ونذكر من أمثلة ذلك ما كان يوجهه السلطان إسماعيل من صلات سنية للعلماء المنتصبين للتدريس بالحرمين الشريفين(84) واحتذى حذوه في ذلك حفيده السلطان محمد بن عبد الله الذي كان يسنى الجائزة للعلماء على نحو ما صنع مع الشيخ مرتضى الزبيدي حين وصله بخمسمائة دينار ذهبا وساعة قيمتها خمسمائة دينار بعثها له مع ركب الحاج الفاسي عام 1197هـ . وإلى ذلك حبس السلطان المذكور مقدارا كبيرا من المال على طلبة الفقه من المذاهب الأربعة وعلى العلماء الذين كانوا ينهضون بمهمة الفتوى الشرعية(85) كما أنه حبس مبالغ مالية طائلة على العلماء والطلاب من أتباع المذاهب الفقهية الأربعة الذين يتحلقون لقراءة "الفتوحات الإلهية" و"الجامع الصحيح" بالمسجد النبوي الشريف(86).

ومنها صرف بعض أهل الفضل قسطا من أحباسهم إلى السادة الفقهاء المالكية بالمدينة المنورة.فقد حبس الحاج عمر بن علي التطواني أبنية وأنقاض دار بالمدينة المنورة على طوائف من الناس من بينهم السادة العلماء المالكية(87) وكذلك حبس الحاج محمد بن علي المعروف بالهند المغربي دارا له بزقاق الحنابلة السادة المدرسين من المالكية بالمدينة النبوية ممن لم يكن لهم راتب(88) كما حبس الشيخ الشافعي بن محمد أبي صالح التونسي بساتين على العلماء المالكية المغاربة،كما حبس بلديه المسمى مصطفى بن علي الصبغة التونسي على طائفة العلماء المالكية بالمدينة المنورة(89).

ومنها صرف مرتبات للمدرسين والطلاب مما نمثل له بهذه الوثيقة التي حدد فيها المحبس مصطفى خوجة المرتبات في مدرسته مشفوعة بالشروط والتنبيهات التي يجب مراعاتها لدوام التمتع بها:(وقد عين المحبس المشار إليه دام موفقا للخير معانا عليه للإمام الراتب بالمدرسة المذكورة المقرئ المدرس للعلم بها ستين ريالا،ولكل واحد من الأربعة طالبي العلم الذين بالأربعة خلوات عشرة ريالات، ولمؤدب أطفال المسلمين بالمكتب المحادي للمدرسة المذكورة عشرة ريالات.الجميع في كل شهر وشرط المحبس المذكور ضاعف الله له الأجور على طلبة العلم الآخذين للوظيف المسطور ألا يتخلف منهم أحد عن الدرس والقراية على شيخها اللهم إلا أن يكون له عذر بين كمرض واشتغال بحرث أو زرع فلا بأس عليه في ذلك وقدره شهران في كل واحد من الفصلين ،فإن انقضى الشهران ولم يأت فيتلوم له بنصف شهر رجاء لمجيئه،لفغن أتى فذاك وإلا عزل وولى الشيخ المدرس غيره ممن يراه أهلا لذلك وجعل المحبس حفظه الله النظارة في جميع ذلك لمن هو أهل لذلك في ذرية صلبه) (90).

وثمة صور أخرى من عناية المحبسين بطلاب العلم نمثل لها بإيواء الطلاب في الأربطة مثل رباط المغاربة بمكة المكرمة ورباطهم المعروف برباط سيدنا عثمان بالمدينة المنورة،أو تخصيص جناح لسكناهم بجانب المدرسة مثل ما صنعه أبو الحسن الشاري في مدرسته بسبتة،ومن صور تلك العناية بطلاب العلم تحبيس الشاري بقعة لدفن موتاهم(92).

ومن طريف صور العناية بطلبة العلم ضيافتهم من قبل شيوخهم في بيوتاتهم،وهي ضيافة كانت تتمثل من وجه فيما يبذله الشيخ لهم مما يتقن من علوم مفيدة،ومن آخر فيما يجود به من موائد أطعمة شهية.وقد احتفظت لنا بعض المصادر التاريخية الأندلسية بصورة لأحدها،هو مجلس الفقيه المتفنن أحمد ابن سعيد بن كوثر الطليطلي،وكان يضم نيفا على أربعين طالبا(قد فرش ببسط الصوف مبطنات،والحيطان باللبود من كلحول،ووسائد الصوف.وفي وسطه كانون في طول قامة الإنسان مملوءا فحما يأخذ دفئه كل من في المجلس) وكان هذا المجلس،فضلا عن توفره على حظ كاف من الدفء المادي،كما رأينا،موصول الأسباب بألوان أخرى من الدفء،مبعثها الإيمان الغامر،والحب الأخوي في الله،والاجتماع على التلاوة و الذكر وطلب العلم التماسا لرحمة الله تتغشاهم ولبركة الملائكة تحف بهم، بهم،ولذكر الله،وهو أكبر،لهم فيمن عنده،يسعدون به و يقرون عينا.وكان صاحب المجلس يدرك ذلك جيدا مما دفع به إلى الاستزادة من أسباب الراحة و التدفئة لطلابه،فأضاف،إلى ما وفر لهم من فرش مبطنة و مواقد ملتهبة،أنه كان إذا انقضى الدرس و طويت صحفه لا يتركهم ينصرفون؛بل يمسكهم جميعا ليتحلقوا حول موائد (عليها ثرائد بلحوم الخرفان بالزيت العذب) وفي أيام أخرى (ثرائد اللبن بالسمن أو الزبد) (فيأكلون من تلك الثرائد حتى يشبعوا منها،ثم ينطلقون قرب الظهر مع قصر النهار ولا يتعشون.وكانت هذه الضيافة تمتد طيلة أشهر فصل المطر،والثلج،والبرد.

وبعد فإن مثل هذه العناية من لدن المحبسين بالمجال العلمي تدل في بعد منها على وعي بحاجة الأمة إلى العلم تؤدي به شهودها الحضاري الذي تحقق به مقاصد دينية وغايات دنيوية تحفظ بها للناس ضرورياتهم،وفي مقدمتها الدين والعقل،بهما تجلب للناس المصالح وتدرأ عنهم المفاسد،وتقوم حياتهم،فردية وجماعية،على هدى وبصيرة.

الهوامش

1) صحيح مسلم.

2) ورد في باب الوقف في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أصاب بخيبر أرضا فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أصبت أرضا لم أصب مال قط أنفس منه ، فكيف تأمرني به؟ فقال عليه السلام : "إن شئت حبست أصلها " فتصدق بها عمر ـ أنه لا يباع أصلها ولا يوهب ولا يورث ـ في الفقراء .

4)صحيح البخاري (باب الجهاد) ج 6 ص 523 ، وسنن النسائي (كتاب الخيل ـ باب علف الخيل) ج 6 ص 225 ـ ط . دار إحياء التراث العربي (بيروت)

5)الكافي لابن عبد البر القرطبي ج2 ص 51 ط . الياض (1973)

6)شرح حدود ابن عرفة الموسوم (الهداية الكافية الشافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية)لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع . تحقيق : د . محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري ج 2 ص 539 " دار الغرب الإسلامي ـ بيروت 1993)

7) نفس المصدر ج2 ص 539

8) تاريخ ابن خلدون ج1 ص 353 . ط . مصر (1279هـ)

9) المسند الصحيح الحسن لبن مرزوق . تحقيق الدكتورة مارية خيسوس فيغيرا ص 254

10) تاريخ ابن خلدون ج7 ص 265 ، والاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للناصري < 3 ص 123

11) كتاب العلوم والفنون والآداب على عهد الموحدين ص 38

12)الاستقصا ح4 ص 74

13) المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق ص 28

14)أزهار الرياض 46/2

15)اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار ص 56

16) الإحاطة 67/3 وأزهار الرياض 272/1

17)نفسه 46/1

18)نفسه 191/3

19) صلة الصلة ص 153

20)الإحاطة 259/4

21) الذيل والتكملة ق 5م37 229

22)صلة الصلة ص 152

23) الذيل والتكملة ق5 ص 37

24)الإحاطة 516/1

25)نفسه ص65

26)نفسه ص 59

27)نيل الابتهاج 356

28)نفسه ص 345

29)نفح الطيب 186/7 وأزهار الرياض 272/1

30) اختصار الأخبار ص 31

31)الذيل والتكملة ق 5 ص 420

32)نفسه

33)اختصار الأخبار ص32

34)الذيل والتكملة ق 5 ص 34

35)أزهار الرياض 36/1

36)بلغة الأمنية ص 73

37) صلة الصلة ص 149

38) إفادة النصيح ص 109

39)نفسه ص 109

40)الإحاطة 178/3

41) اختصار الأخبار ص 57

42)رحلة الناصري الكبرى ص 124

43) رحلة القاصدين ورغبة الزائرين مخطوط الخزانة الحسنية بالرباط5056

44)العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي ج2 ص 74 ط2 ـ مؤسسة الرسالة (1406هـ)

45) نفسه

46) "قطر الطائف ومؤرخوه" لحمد الجاسر مجلة العرب ج2 س2 (شعبان1387هـ) ص98 ـ 99

47) نصيحة المشاور وتعزية المجاور لأبي محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي (ت769هـ). ص 67طبع بعناية حسين محمد علي شكري ـ دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع

48) نفس المصدر ص 157

49)نفس المصدر ص 171

50)نفس المصدر ص 171

51) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ج ص ط . دار مكتبة الحياة ـ بيروت

52)نفس المصدر ج3 ص 311 ـ 312

53) نفس المصدر

54) رحلة القاصادي لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي (ت891هـ)تحقيق د . محمد أبو الأجفان ص 134 ط . الشركة التونسية للتوزيع.

55)شجرة النور الزكية ص 42

56)في قلب المعركة للإبراهيمي ص 92

57) فهرس مكتبة محمد الوزير للدكتور د عبد ارحمن المزيني ص 32

58)نفسه.

59) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ج2 ص 240

60) العبر لابن خلدون

61)المسند لابن مرزوق ص 37

62)نفسه

63)نفسه

64)نفسه.

65)نفسه.

66)إتحاف الناس بأخبار حاضرة مكناس لابن زيدان 34/2

67)رحلة الغنامي ص 56

68) العقد الثمين للفاسي 3:56

69)رحلة القلصادي ص 65

70)نفسه.

71)نفسه.

72)نصيحة المشاور ص78

73)الاستقصا 67/2

74)تاريخ تطوان 76/3

75) أخبرني به الدكتور عبد اللطيف الجيلاني في مكتبة الحرم النبوي.

76)نفح الطيب 308/7

77)مجلة الأندلس مجلد 2 ص 108

78)الإحاطة 78/3

79)المعيار للونشريسي 227/7

80)المعجب للمراكشي ص 283

81)الإحاطة195/1

83)تاريخ حضارة ليبيا ص 446

84)أوقاف مكناس 236/1

85)إتحاف الناس 233/3

86)ركب الحاج المغربي ص 43

87) وقف العلماء المدرسين بالمدينة المنورة (مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة) ع 39 /23

88)نفسه.

89)نفسه.

90) معالم الحضارة الإسلامية في ليبيا ص 447

91)نفسه.

92)اختصار الأخبار ص 54

المصادر والمراجع

إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

عبد الرحمن بن زيدان المكناسي

المطبعة الوطنية ـ المغرب(1352هـ 1933م

أوقاف الحرمين الشريفين بالبلاد التونسية 1731 ـ 1881

د . التليلي العجيلي

منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات ـ زغوان ـ 1998

تاريخ تطوان

محمد داود المطبعة المهدية ـ تطوان (المغرب)

الحوالة العباسية ـ ميكروفيلم رقم 120 ـ قسم الوثائق والمخطوطات بالخزانة العامة بالرباط

رحلة القلصادي

أبو الحسن علي القلصادي

تحقيق د . محمد أبو الأجفان

الشركة التونسية للتوزيع

الرحلة العياشية ج2

أبو مسلم العياشي

ط . مصورة ـ الرباط

رحلة القاصدين ورغبة الزائرين

عبد الرحمن بن أبي القاسم الشاوي الغنامي

مخطوط الخزانة الحسنية م 5056

ركب الحاج المغربي

محمد المنوني

مطبعة المخزن ـ تطوان (1953م)

سنن النسائي

ط . دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

شرح حدود ابن عرفة الموسوم (الهداية الكافية لبيان حقائق الإمام ابن عرفة الوافية)

أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع

تحقيق د . محمد أبو الأجفان والطاهر المعموري

دار الغرب الإسلامي ـ بيروت (1993)

صحيح البخاري

أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ط . الحلبي ـ مصر

الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

شمس الين محمد بن عبد الرحمن السخاوي

ط .دار مكتبة الحياة ـ بيروت

كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى

أبو العباس أحمد بن خالد الناصري

دار الكتاب ـ الدار البيضاء (1405هت)

العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين

تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي

مؤسسة الرسالة ـ بيروت (1406هـ)

نصيحة المشاور وتعزية المجاور

أبو محمد عبد الله بن محمد ابن فرحون

قابل أصوله واعتنى به : حسين محمد علي شكري

دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع